العدد 14 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2026
No. 14 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

المحددات النفسية للمناهج المعرفية (الكبر والحسد والهوى) عند المستشرقين في قراءة السيرة النبوية والتاريخ والحضارة الاسلامية

م. د. غانم اسماعيل كنعان
وزارة التربية/ الكلية التربوية المفتوحة مركز ديالى الدراسي
ghanem.ismail.kanaan@ec.edu.iq

الملخص:

تهدف هذا البحث الى تفكيك الخطاب الاستشراقي ليس باعتباره مجرد تراكم معرفي اكاديمي حول الشرق بل كنتاج لبنية نفسية وفكرية معقدة لدى الغرب تناقش الورقة كيف لعبت الدوافع النفسية والشخصية ومحركات الافكار دورا محوريا في تشكيل صورة الشرق في المخيلة الغربية كما تحلل المحركات الفكرية المرتبطة بالمركزية الاوربية والرسالة الحضارية وعقدة التفوق التي حولت الشرق الى واقع جغرافي الى موضوع للدراسة والهيمنة ويعتمد البحث على قراءة تحليلية في تصور المستشرقين للتاريخ الاسلامي من خلال منظور نفسي وتربوي ضمن اطار دراسة بينية تربط بين التاريخ الاسلامي وعلم النفس من خلال التعرف على خلفيات المستشرقين النفسية والثقافية التي ساهمت في تشكيل كتاباتهم وتصوراتهم للتاريخ الاسلامي والكشف عن التحيزات واللاواقعية والميول الفردية والجمعية التي انعكست في قراءتهم للتاريخ الاسلامي وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والنفسي لفهم تلك الكتابات والرد عليها بمنهج علمي وتسعى الدراسة الى تقديم قراءة نقدية للخطاب الاستشراقي تجاه التاريخ الاسلامي وحياة الرسول (ﷺ).

الكلمات المفتاحية : المحددات -النفسية - المناهج المعرفية -المستشرقين - السيرة النبوية

The Psychological Determinants of Epistemological Approaches(Arrogance, Envy, and Bias) among Orientalists in Reading the Prophetic Biography, Islamic History, and Civilization

Asst. Prof. Dr. Ghanim Ismail Kanaan
Ministry of Education / The Open Educational College - Diyala Study Center

Abstract:

Administrative and financial corruption is one of the most important obstacles to progress and development through the ages, and the methods of its spread are directly proportional to the civilized progress of nations . It brings with it all problems, whether economic, political, social, etc. Through it, the largest societies collapse and overthrow the most powerful nations and this is what happened in our country Iraq, after the US invasion in 2003. Note that most of the laws, legislation and ethics forbade corruption and considered it a humiliating act, but the situation in Iraq has become different, as the corrupt policy was bequeathed by the Americans to their successors and this is what caused the spread of corruption more and the creation of a weak internal administrative apparatus, as well as the lack of effective oversight to deter this phenomenon.

Keywords: Determinants - Psychological - Epistemological Approaches - Orientalists - Prophetic Biography

المقدمة:

إن الدرس النقدي كاد يجمع على ان الافكار والمنظومات الايديولوجية ليست نتلج تجرد عقلي خالص او عقل محض يتحرك من فراغ بل نتاج بنيوي تتداخل فيه المحددات المعرفية مع البواعث النفسية والقلبية، ان الفكر الاستشراقي الكلاسيكي والمعاصر ظل رهين نقد المضامين الظاهرة ، غير ان المنهجية تقتضي التوجه نحو تفكيك البنية النفسية الباطنة للتصنيع العلمي في بواعثه الصانعة والموجهة لقد شكل الاستشراق منذ نشأته منظومة معرفية معقدة ارتبطت بمراحل التوسع الغربي من خلال رؤى متعددة عن الشرق الاسلامي ومع تنوع المدارس والمناهج التي تبناها المستشرقون ظلت معظم الدراسات تنظر إلى المنتج الاستشراقي من زاوية علمية او ايدلوجية مغلقة وكانت تلك الكتابات الاستشرافية في معظمها متحاملة وغير حيادية بنيت على تصورات بعيدة عن الواقع والمنهج العلمي الذي كانوا يدعون باستخدامه وكانت هناك وراء هذه الكتابات المتحملة دوافع نفسية ومحركات لأفكار خلف هذه التصورات فالدوافع النفسية بوصفها عوامل داخلية مؤثرة في انتاج الخطاب الاستشراقي خاصة عند تناول رموز الاسلام كالنبي (ﷺ) او الاحداث الكبرى وقد ظهرت في كتابات المستشرقين نزعات نفسية مثل التعالي الثقافي او حتى في التملك الثقافي او الاسقاط المعرفي وكلها تسهم في خلق خطاب يخفي تحت طابعه العلمي دوافع فردية او جمعية غير معلنة .

أن هذا البحث يسعى إلى الكشف عن تلك الدوافع النفسية ومحركات الافكار في عدد من النماذج الاستشرافية لا كوقائع فكرية مجردة بل كبنى نفسية تحمل دلالات تتجاوز ظاهرة اللغة والمحتوى وتعكس مواقف نفسية متجذرة ولفهم تلك الكتابات واهدافها والتعرف عليها ومن خلال التحليل النفسي وخلفيات علم النفسي الثقافي والتاريخي يمكن فهم اعمق لأليات الرؤية الاستشرافية للتاريخ الاسلامي .

مشكلة البحث واهدافه:

تكمن اشكالية البحث في التناقض الجذري الملاحظ في الخطاب الاستشراقي فينما يدعي المستشرقين الالتزام بالموضوعية العلمية والحيادية المنهجية عند دراسة التاريخ الاسلامي نجد أن منتجهم المعرفي وكتاباتهم تحمل تحاملا كبيرا على التاريخ الاسلامي وسيرة الرسول واطلاق الاحكام المسبقة وهنا يبرز السؤال المهم هل كانت تلك الكتابات مجرد هفوات علمية ناتجة عن نفص المصادر ام انها نتاج حتمي لبنية نفسية قوامه (الكبر والحسد والهوى) شكلت عائقا معرفياً حال دون رؤية المستشرق للحقيقة التاريخية.

فرضيات البحث تقوم الدراسة على فرضية رئيسية هي أن التشويهات التاريخية في كتابات المستشرقين ليست اخطاء معرفية بل انعكاس لدوافع نفسية (الكبر والحسد والهوى) تحكمت في العقل الاستشراقي وحولت المنهج العلمي إلى اداة لتبرير احكام غير صحيحة وتتجلى اشكالية البحث في استقصاء ظاهرة الاستشراق لا من زاوية نقد المضامين الظاهرة او تفنيد الادلة فحسب ، بل من خلال الحفر في البنية النفسية الباطنية وتحديداً عبر رصد دور الكبر والحسد الهوى بوصفها محركات افكار باطنية وجداراً ادراكياً نحو تشكيك منهجي متعمد تجاه السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي ، وان المتأمل في الخطاب الاستشراقي يلحظ وجود نزعة اقصائية مبطنة لا تعود في جوهرها الى نقص في الوثائق او عوز في ادوات البحث يل انعكاس لحالة من الاستعلاء المعرفي (الكبر) الذي يمنع صاحبه بفضيلة الاخر وتفرده الحضاري مما يولد طاقة عدائية حسد) تترجم في شكل مناهج تفكيكية تهدف الى تشويه السيرة النبوية وتاريخ الاسلام وعليه هذا البحث يهدف الى كشف البنية النفسية لمستشرق التي اتسمت غالبيتها بالعدائية والدس والتقليل ومحاولة النيل من الاسلام ومنابعه الاصلية وكشف الحجاب للبنية النفسية المتسمة بالكبر والحسد والهوى وكذلك تفكيك المناهج الاستشراقية واظهار العلاقة بين انحراف البواعث النفسية لدى المستشرقين وبين لجوئهم لآليات الرد للأصول السابقة والانتقائية في توظيف المرويات

يُعدُّ "الاستشراق" أو "الدراسات الاستشراقية" مصطلحاً فكرياً يُطلق عادةً على التيار الذي يعنى بدراسة الحضارة الشرقية بمختلف جوانبها. وقد انصبَّ اهتمام الاستشراق في بداياته على الإسلام

وحضارته واللغة العربية وآدابها، ثم توسع ليشمل الشرق كله بلغاته وأديانه وتقاليده، إلا أن الدين الإسلامي واللغة العربية ظلا محور اهتمامه الأكبر؛ لما يمثلانه من عمق فكري وسياسي وعقائدي.

ويرى المستشرقون الغربيون أن الاستشراق مادة علمية معترف بها أكاديمياً، ولها حضورها في معظم الجامعات الغربية التي تخصص وظائف بحثية وأكاديمية في هذا المجال. ولم يتفق الباحثون على تحديد بداية تاريخية دقيقة للاستشراق؛ لكون الدراسات التي تناولت الشرق سبقت ظهور المصطلح بزمن طويل. ويمكن تعريف الاستشراق بإيجاز بأنه: دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق، بما في ذلك تاريخه ولغاته وفنونه وعلومه وتقاليده، أما المستشرق فهو الباحث الغربي الذي يكرس جهده لدراسة هذا التراث.

وعلى الرغم من تعذر تحديد أول مستشرق أو توقيت دقيق لبداية هذه الدراسات، تجدر الإشارة إلى أن عدداً من الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في أوج ازدهارها، وتتلمذوا على أيدي علماء المسلمين في علوم الطب والفلسفة والرياضيات. ويذكر عمر فروخ أن أوائل المستشرقين منذ القرن الرابع الهجري كانوا من الرهبان؛ نظراً لاحتكار رجال الكهنوت للعلم في أوروبا آنذاك، مما يجعل "جربرت" الفرنسي، الذي عُرف لاحقاً بالبابا سلفستر الثاني (999-1003م)، يُصنف كأول المستشرقين وأول بابا يرتقي سدة الفاتيكان، في حين تتعدد الآراء البحثية الأخرى حول البدايات الحقيقية للاستشراق.

التمهيد ماهية الاستشراق وسياقاته التاريخية والنفسية

الاستشراق او الدراسات الاستشرافية مصطلح مفهوم عام او مصطلح يطلق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ولقد كان الاستشراق وميدان الدراسات الاستشرافية في بداية ظهوره الاسلام وحضارته واللغة العربية وآدابها ثم بعد ذلك اتسعت مجالات الاستشراق واصبحت تشمل الشرق كله لغاته وآدابه أديانه تقاليده ولكن اهم ما اعتنى به هو الدين الاسلامي واللغة العربية لأن ذلك مثار اهتمامهم الأول والكبير والذي يمثل النزاع الفكري والسياسي والعقائدي الذي يسود عصرنا الحالي **(وزان، الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، ص15)**، ، أن تاريخ ظهور الاستشراق كما يراه اصحابه من المستشرقين في الغرب يعد في نظرهم مادة علمية معترف فيها عالمياً وموضوعاً معترف فيه اكاديميا ويوشك أن يكون ممثلاً في كل جامعة من الجامعات الغربية مع وجود اعداد من وظائف المحاضرين والمعيدين والباحثين في مجالات التخصصات الاستشرقية **"(وزان ، الاستشراق والمستشرقون ،ص15)** لم يتفق الباحثون على تحديد مدة بداية تاريخية بعينها لاستشراق ولعل مرد ذلك إلى أن الدراسات الاستشرافية كانت تسبق ظهور مصطلح الاستشراق بزمن طويل **(وزان ، الاستشراق والمستشرقون ،ص15).** فالاستشراق بتعبير موجز هو دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وفنونه وعلومه وتقاليده **(كركور ، مفهوم الاستشراق وعلاقته بأجنحة المكر الثلاثة ،ص17)** اما المستشرق فهو ذلك الغربي الذي يدرس تراث الشرق وكل ما يتعلق فيه من علوم فالاستشراق دراسة يقوم بها غير الشرقين لتراث الشرق ً(السباعي ،المستشرقون مالهم وما عليهم ،ص14–15).

لا يعرف بالضبط من هو اول غربي عني بالدراسات الغربية ولا في اي وقت كان ذلك؟ ولكن ما يجدر ذكره أن بعض الرهبان الغربيون قصدوا الاندلس ابان عظمتها ومجدها وتتلمذوا على يد العلماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الطب والفلسفة والرياضيات ، يقول عمر فروخ أن اوائل المستشرقين منذ القرن الرابع الهجري كانوا من الرهبان خاصة لان العلم في ذلك الدور من تاريخ اوروبا قاصرا على الرجال الكهنوت اذن افلا عجب اذن نحن قلنا ان جربرت الفرنسي الذي اصبح بابا سلفستر الثاني (999ـــ1003) كان اول المستشرقين واول بابا يرقى سدة الفاتكان (محمد ،د.ت، الاستشراق بين الحقيقة والوهم والتضليل مدخل لدراسة الاستشراق،ص14–15) وهناك مجموع من الآراء تشير إلى بداية الاستشراق منهم محمد البهي الذي يرى أن بداية الكتابات الاستشرافية كانت في القرن العاشر الميلادي ثم ازدهرت بعد ذلك اما علي الخربوطلي فيؤكد أن الاستشراق بدأ في العصور الاسلامية الوسطى حينما كان العرب في الصدارة ، اما سمايلوفيتش فيقول:،، لو تتبع الباحث آراء العرب جميعها أراها تقترب من

هذه الآراء التي سردناها..، ويخلص سمايلوفبتش إلى القول أن ميلاد الاستشراق كان حينما التقى الأوربيون بالثقافة العربية الاسلامية المتفوقة على حضارتهم وظلت حركة الاستشراق تنمو وتزدهر حتى استطاعت تكون صرحها العلمي في النصف الثاني من القرن العشرين (السايح ، 1996، الاستشراق في ميزان الفكر الاسلامي، ص20) واختلفت دوافع الاستشراق منها ما كان لأسباب حضارية او علمية او اقتصادية او دوافع دينية او استعمارية او دوافع نفسية لذلك تعددت اراءهم وكتاباتهم وتنوعت بما هو موضوعي وما هو متحامل متحيز لذلك كانت مهمة الباحثين البحث في هذه الكتابات مهمة صعبة وطويلة تتطلب جهدا كبيرا لرد على تلك الكتابات (لطيفة ،2011، جهود المستشرقين في نشر التراث العربي ،اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة جيلاني، الجزائر ،ص33–34) واختلفت دوافع الاستشراق واهدافه وصار من العسير التفريق الدوافع واهداف الاستشراق بين ما هو ديني او اقتصادي وعلمي او ما هو ذاتي او نفسي ولقد تعددت محاور الاستشراق الى ما يقارب سبعة محاور ثم توسعت هذه المحاور تمثلت بالدراسات الاسلامية ولقد اولى المستشرقين اهتماماً كبيرا في القيام بهذه الدراسات، والتي تنشر في مؤتمراتهم ودورياتهم الكبرى ، وما اعدوه من فهارس للمخطوطات والمطبوعات وظهر الكثير من المستشرقين في هذا المضمار امثال بروكلمان[1].

(وجب[2] وبرنارد لويس[3]) وكلود كاهين[4]، وجبرايلي[5] لذين عنوا في دراساتهم الكليات في مجرى التاريخ الاسلامي(فوزي، فاروق عمر1998، الاستشراق والتاريخ الاسلامي (القرون الإسلامية الاولى) ص29، والمحور الثاني تناولوا الدين الاسلامي كعقيدة ، وقدم المستشرقون تصوراتهم ثم درسوا سيرة الرسول (ﷺ) (فوزي، 1998،ص34) والمحور الثالث درسوا الاسلام كشريعة وظهرت حاجتهم في هذا المحور لاستشراق في عهد اللاهوت المضاد لإسلام والمحور الرابع المهم ايضاً محور التاريخ الاسلامي فقد ركز المستشرقون ووجهوا دراستهم الى كتب التاريخ ونشرها وبيان اصولها ، والمحور الخامس اللغة العربية وآدابها (فوزي ،1998،ص41)، والمحور السادس علوم الحضارة والنظم الاسلامية فقد تناول المستشرقون في دراستهم مختلف العلوم كالفلسفة، والطب، والحساب، والفلك ، والتنجيم ، وعلم الاحياء والكيمياء والطبيعة والري وعلم المعادن والفنون وغيرها التي شاعت في عهد ازدهار الحضارة العربية الاسلامية (فوزي ، 1998،ص139)، والمحور السابع تحقيق التراث العربي

---

(1) بركلمان كارل: مستشرق الماني ولد سنة 2868 في مدينة رستوك من اهم كتبه المشهورة تاريخ الادب العربي بأجزائه الخمسة الذي ما زال المرجع الاساسي في ما يتعلق بتحقيق المخطوطات العربية واماكن وجودها برع في الدراسات الاستشرافية ، بدوي ، عبد الرحمن ،1993، موسوعة المستشرقين ،ص،197.

(2) جب: مستشرق انجليزي تخصص في الادب التركي كان له ولع في اللغات الشرقية بتأثير من قراءة الف ليلة وليلة وقصص شرقية اخرى فعكف منذ وقت مبكر على دراسة اللغة العربية والفارسية لكن صرف معظم وقته إلى اللغة التركية واشتهر بترجمات عديدة من التركية إلى الانجليزية ،بدوي ،1993،ص 173.

3() برنالد لويس : مستشرق بريطاني من مواليد لندن استاذ فخري امريكي بريطاني لدراسات الشرق الاوسط في جامعة برنستون وهو مستشرق يهودي وتخصص في تاريخ الاسلام واشهر اعماله لافي تاريخ الدولة العثمانية توفي سنة 2018م (htt//ar.wi:pedia.org).

4() كاهن (كلود) : مستشرق فرنسي متخصص في تاريخ الشرق الادنى في عهد الحروب الصليبية عني كلود بالدراسات التاريخية الاسلامية وخاصة الجوانب الاقتصادية ثم الحياة الاجتماعية وله مؤلفات كثيرة ، بدوي ،1993،ص460.

25() جبرلي : مستشرق بريطاني من كتبه عصر وحياة وقصائد لشاعرة العربية الخنساء واهتم بتاريخ العلوم عند العرب ،بدوي،1993،ص176.

الاسلامي فقد المستشرقين ومنذ عهد مبكر بتحقيق ونشر مختلف المصادر العربية الاسلامية وتختلف دوافعهم بعضها موضوعية علمية وبعضها دينية وتبشيرية او سياسية كل حسب ارتباط المستشرق ودوافعه ونزعاته الداخلية والخارجية (الشرقاوي، محمد عبدالله ،،د.ت، الاستشراق في الفكر الاسلامية المعاصر دراسات تحليلية تقويمية، ص28).

ان ما يحسب للمستشرقين رغم يؤخذ على دوافعهم التي كان لها مردوها السلبي ومازال ذلك التأثير انهم تركوا تراثاً ضخماً عبر قرون من المعرفة حول الاسلام والتاريخ العربي الاسلامي معتمدين على اثارنا العلمية ولمعرفية لذلك اصبحنا امام مسؤولية كبيرة ذات شقين الاول منها، ان لا تنكر تلك الجهود الجبارة لأننا تؤمن بان تراثنا جزءا لا يتجزأ من الحضارة الانسانية ، اما الشق الثاني فيتوجب علينا تأخذ ذلك التراث بحذر شديد ونعيد فيه النظر وندرسه بكل جوانبه ودوافعه بصورة علمية من اجل ان نتعرف على السلبيات والايجابيات للإفادة منها وكذلك التعرف على السلبيات والشبهات لتجنبها معتمدين المنهج العلمي السليم لرد عليها من مصادرنا ، وانها مسؤولية كبيرة بكل ما تحمله الكلمة من معاني تلقى على علماء الامة فالمعلوم انه قد تزامنت انطلاق الدراسات الاستشراقية مع مرحلة الافول الحضاري لدولة العربية الاسلامية وتراجع فاعليتها التاريخية ، مما يضع على عاتق الفكر المعاصر مسؤولية معرفية اخلاقية لاستيعاب هذه المرحلة وتفكيك سرديتاها التاريخية ، واعادة بناء رؤية معرفية نقدية تنهض بواقعنا الراهن.

المبحث الأول

اثر الكَبر في كتابات المستشرقين من الاستعلاء الى التشكيك

المطلب الاول: مفهوم الكبر الحضاري

المراد بالكبر(محرك الكبر) هو العظمة والزهو والعلو البشري الذي يدفع الانسان إلى القناعة بالفكرة او الفكرة المضادة إذ إن بعضاً ممن رفض الأفكار واستنكرها هو في حقيقته كبر استقر في عواطفه فأنتج هذا الرأي المخالف الرافض المعاند، وليس شيئاً متعلقاً بالفكرة وتفاصيلها سواء كانت علمية او غيرها ، قال تعالى **(سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ)**[الاعراف: 148]، اي انهم يرون انهم افضل الخلق ، او لهم من الحق ما ليس لغيرهم وهذه لا تكون خاصة الا لله لأن الله هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد مثله وذلك الذي يستحق أن يقال له المتكبر وليس لأحد أن يتكبر لان الناس في الحقوق سواء فليس لأحد ما ليس لغيره (الريس، عبد الرحمن ،2022،محركات الافكار تنقيب في الجذور ورصد لمنابع ، ص 23)وقيل إن يتكبرون من الكبر لا من البر اي يتفضلون ويرون انهم افضل الخلق، فالكبر حالة يتخصص بها الانسان من اعجابه بنفسه، وان يرى نفسه اكبر من غيره واعظم الكبر التكبر على الله بالامتناع عن قبول الحق"(الريس،2022،ص32), وتأثير الكبر في الفكر والافكار كبيرا فالمتأمل في حالة المتكبر التي تطفو على مزاجية الانسان وشخصيته يدرك وغولها في معامل العقل وتأثيرها على الافكار وبنائها أن الحالة القلبية لمتكبر يستقيم أمرها مع الحال والشأن الفكري والعلمي والموضوعي فالعقل إن طغى عليه حالة قلبية ومزاجية يعلوها الكبر والاستعلاء تصبح ابعد ما تكون عن المبتغى العلمي والغاية الفكرية فلا يجتمع كبر وعلم وفكر وحوار ومعرفة فيحرم حينها المستكبر المعرفة والعلم وثمرتها، أن النظرة الفوقية للأفكار تفضي إلى تجاهلها وتصاغرها حيث تحرم عقلية المستكبر من صحة النظر والاكتفاء والانكفاء على ذاته ويحرم الاستنباط والمثاقفة فيكون بذلك نقص (الريس،2022،ص33)، أن التشويهات البنيوية في الخطاب الاستشراقي حول السيرة والتاريخ الاسلامي ليست مجرد اخطاء منهجية ناتجة عن نقص المصادر او سوء الفهم اللغوي بل هي نتاج لحواجز نفسية كالكبر التي شكلت نظرة سوداء منعت المستشرق من رؤية الحقائق التاريخية كما هي وحولته من باحث لصور نمطية تخدم ذاته المتصفحة فكما هو معروف إنه لا يمكن تعامل المستشرقين الكلاسيكيين امثال جولد تسهير ولامنس مع التراث الاسلامي بمعزل عن عقدة

الكبر لقد نظر المستشرق إلى ذاته باعتباره الذات العارفة وهذا ناتج عن ما يتصف به المجتمع الاوربي على اختلاف ديانته في معاملاته الدائمة بالشعور بالاستعلاء العنصري فهو موروث تاريخي وصفة متأصلة في هذا المجتمع وركن اساس رئيس من مكونات الثقافة الغربية (الحساني،2022، ساجدة عبد كاظم ، اتجاهات الكتابة التاريخية وخصائصها في دراسة الفتوحات الاسلامية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الكوفة، ص 31).

لقد فرضت نظرة التكبر والاستعلاء بصماتها في فكر المستشرقين ومدارس الاستشراق يقول المستشرق رودي بارت) في معرض كلامه عن الالتزام بالموضوعية فنحن معشر المستشرقين عندما نقوم اليوم بدراسة العلوم العربية والعلوم الاسلامية لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه بل نعيد به النظر ونطبق منهجنا فيكون معيارنا الذي نطبقه على تاريخ الفكر وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن (الجنابي ، رفقه احمد عبد مرزوك،2012، دراسات المستشرق الالماني رودت بارت حول القران الكريم (عرض، تحليل ، نقد ، ص16).

لقد تظاهر بارت بالموضوعية بعبارته السابقة وفي الحقيقة هي نظرة استعلائية وخص تطبيق منهجه ومعايره على سائر وهذا ليس من الموضوعية بشيء أن تمحور الاوربيون حول الذات جعلهم يتصفون بصفة الكبر والاستعلاء ويرون انفسهم المعيار الاوحد الذي يقاس عليه الاخرون وهذا نتاج التكبر ونتاج التعصب وتضخم الذات الاوربية ومن الامثلة على الكبر لدى المستشرقين تفسيرهم المادي المتعالي فقد تبنى شبرنجر نظرية الصرع والهستيريا فقد ذكر أن الحالة التي يمر بها الرسول(ﷺ) ما هي الا هلاوس وهستيريا تنتدب النبي (ﷺ) (كنعان ، غانم اسماعيل ، 2023، المستشرق لويس شبرنجر وكتابه حياة محمد من المصادر الاصلية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة ديالى ، ص99) أن ما تناوله المستشرق من شبه المرض العصبي مرده إلى أن المستشرق بما يمتلكه من منهج يحاول انكار الوحي فينظر إلى النبي (ﷺ) نظرة المتعالي المتكبر الذي يحرف الحقائق ليرضي نفسه المتكبرة وهواجسه الداخلية ومن الامثلة الاخرى على تكبر المستشرقين ما تحمله انفسهم من تعالي وتكبر فهذا الفيلسوف رينان يبشر بفلسفة عرقية عنصرية مفادها أن العقل الاوربي عقل علمي مركب يختلف عن العقل العربي السامي الساذج المعادي للعلم والفلسفة وصولا إلى سمو العقل الاوربي الذي يعده مركز الاستقطاب الفكري للإنسانية جمعاء((الجليند ، د.ت، الاستشراق والتبشير ،ص59)، أن المستشرقين الأوربيين في دراساتهم انطلقوا من في نظرتهم إلى الاسلام نظرة استعلائية وردوا كل معارف العرب وعلومهم إلى اصول اجنبية يونانية وساسانية وغيرها متأثرين بما يمتلكونه من افكار مسبقة وما يمتلكونه من هواجس نفسية ومنها الكبر ومهما حاول المستشرق الابتعاد عن التعالي او الاقتراب من الاعتدال كما اشار عماد الدين خليل في كتابه المستشرقون في السيرة النبوية (فوزي، 2022، الاستشراق والتاريخ الاسلامي ،ص39)، فأنه يظل اسيرا للمنظور الغربي المستعلي الذي يضع شروطا تعجزيه ومقايس خارجية لتحقق من النص القرآني والتاريخ الاسلامي متعاملا معه كحقل تجارب مختبري (شبرينجر ، لويس ، د.ت ، حياة محمد من المصادر الاصلية ،ص149) واشار ايضاً أن المستشرق يمارس نوعاً من التكسير والتجريح في نسيج السيرة النبوية مدفوعاً بمنظور عقلي ويتعامل مع السيرة النبوية من الاعلى (فوقية) واستعلاء لا ثبات قدرته على الجدل والاستنتاج المادي بدلاً من الفهم والتحقق التاريخي النزيه (عباس، فضل حسن،2016، التفسير والمفسرون اساسياته واتجاهاته في العصر الحديث، ج1،ص 459).

أن المواقف المسبقة التي يصدرها المستشرق تجاه السيرة والتاريخ الاسلامي تنطلق من شعور بالتفوق الثقافي والديني وكيف يتحول البحث عندهم إلى محاولة لتزيف والتشويه كل ما هو اصيل في السيرة النبوية واخضاع حقائقها لمقاييس مادية جافة (المطيري، انصاف بنت سعد بن مثيب ، (3034) ، دور الاسرة والمجتمع الغربي في تكوين خلفيات المستشرقين العقدية، المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية ،18(38) ،ص138)، ونتيجة التعالي فالمستشرق يخرج من المنهج الموضوعي إلى تشويه

الحقائق ومن ابرز الامثلة على ذلك ما اورده مرجليوث[1]، يقول : مرجليوث: عاش محمد صلى الله عليه وسلم هذه السنين الست ما بعد الهجرة إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب ــ ولكن نهب أهل مكة قد يسوّغه طرده من بلده ومسقط رأسه وضياع أملاكه وكذلك بالنسبة إلى القبائل اليهودية في المدينة فقد كان هناك - على أي حال - سبب ما، حقيقيًا كان أم مصطنعًا يدعو إلى انتقامه منهم، إلا أن خيبر التي تبعد عن المدينة كل هذا البعد لم يرتكب أهلها في حقه ولا في حق أتباعه خطأ يعد تعديًا منهم جميعًا لأن قتل أحدهم رسول محمد صلى الله عليه وسلم لا يصلح أن يكون ذريعة للانتقام،(الصغير ،فالح بن محمد بن فالح ،دزت، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية ،ص44) ان النظرة المستعلية بين الكثير من المستشرقين الغربين.

المطلب الثاني: مظاهر الكبر الحضاري تجاه السيرة والتاريخ الاسلامي (التقليل من اصالة الحضارة الاسلامية)

الاستشراق ورد تعريفه بصيغ متعددة ومتنوعة فهو اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية لأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة الاسلام بصفة خاصة ،كما يتناول الاستشراق من حيث الاهداف انه انطلق من حيث فكرة واحدة انما هي فكرة الغزو الاستعماري والعقائدي بقصد التمكين للحضارة الغربية المسيحية المادية من السيطرة على الحضارة الاسلامية والغاء دورها في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتشكيك المسلمين بدينهم ومحاولتهم ابعادهم عنه (الوزان ،د.ت، ص15) واتبعوا مختلف الوسائل مدعين الموضوعية في مناهجهم التي استخدموها في دراسة التراث العربي الاسلامي وسيرة النبي محمد(ﷺ) فقد حاولوا نفي الدور الحضاري الذي لعبته الحضارة الاسلامية بين الامم ورسالة الاسلام السمحاء منطلقين من محركات افكارهم التي هي بعيدة عن المنهجية والموضوعية التي يدعونها ، وقد تجسد ذلك من خلال المظاهر النفسية ومنها الكبر الحضاري ومحاولة تشويه الحضارة الاسلامية بوصفهم تلك الحضارة بأنها حضارة غير اصلية انما نقلت عن الحضارة الرومانية واليونانية ،يقول المستشرق غوستاف لوبون[2]: يجب اعتبار محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات ، ولا تعجب لذلك فلم يكن دور المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشؤون الديانات ويقودون الناس وانما اولو الهوس هم الذين اقاموا الاديان وهدموا الدول وقادوا البشرية ، ولقد وضع هذا المستشرق كتابه حضارة العرب ، وصرح بآراء وافكار تدل على جهله بالوحي والنبوة وطبيعة الحضارة الاسلامية، ان هذا المستشرق يجعل القران دليل على عبقرية الرسول وابداعه او يضعه في مكانة ادنى من كتب الهندوس الدينية ، ويرى انه كتاب مؤقت بعصره لا يحقق حاجات الناس في عصور لاحقة (الجليد، د.ت ، الاستشراق والتبشير ،ص34)، ويسير في نفس الاتجاه المستشرق بلاشير[3] في كتابه معضلة محمد حيث يرى ان التشابه بين قصص التوراة والانجيل كان سببا في القول بأن محمداً اخذ القران من هذين المصدرين (السرحاني، الاثر الاستشراقي في موقف محمد اركون من القرآن الكريم ،ص34).

المطلب الثالث: اثر الكبر في الدراسات الاستشراقية:

1() م مرجلوث: مستشرق انجليزي يهودي من كبار المستشرقين المتعصبين ضد الاسلام توفي سنة 1940، (بدوي 1993،ص546).

2() جوستاف لوبون: طبيب ومؤرخ فرنسي عمل في شمال افرقيا كتب في علم الاثار والتاريخ ، عسيري ، عبد الوهاب محمد ال رفايع، ص38).

3() بلاشير: مستشرق فرنسي مؤلف كتاب (مقدمة القرآن) صدر عام 1948، البهي ،محمد ،د.ت ، المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الاسلام ،ص18).

ينطلق المستشرقون من خلفية غربية قاصرة عن ادراك جوهر العقيدة الاسلامية ، حيث يتحول هذا القصور المدعوم بالتكبر الى نوع من الحجب الذي يمنع رؤية الحقيقة كما هي ،ويفرض بدلا عنها صورة مصنعة لا تقبل التطبيق الا على المنظومة الفكرية الغربية (الجبري،د.ت،ص309) ، ويتجلى ذلك الاثر في النصوص التي كتبوها عن الاسلام وحياة النبي (ﷺ) والتاريخ الاسلامي فهذا المستشرق الفرنسي لوبون يحاول تأطير شخصية النبي (ﷺ) ضمن فئة المتهوسين ان هذا التوصيف الذي غلفه المستشرق بعيارات الاعجاب التاريخي يكشف عن استعلاء استشراقي حيث يمنح المستشرق لنفسه السلطة الأكاديمية للحكم على سلامة فكر او هوس القادة التاريخين بناء على معايير غربية ومتجاهلاً الابعاد الروحية والتشريعية لرسالة الاسلامية (المدني، 1974،ابو مجاهد عبد العزيز عبد الفتاح بن عبد الرحيم ، المستشرقون في الميزان، ص 153).

ان موقف المستشرقين المتعالي نجده في كثير من كتابات المستشرقين ، واعتمادهم على مصادر من سبقهم بدافع التحيز والتكبر فالمستشرق يسقط العالم المعاصر او إنه تصور الذات في الواقعة التاريخية (عزراوي ، حسن ، 2007، اليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الاسلامية ، ص15)، فالأسقاط عملية نفسية واحد منطلقات الفكرية لمستشرقين ينبع من النفس وتصوراتها فحين يسقط المستشرق حادثة معينة من السيرة النبوية او التاريخ الاسلامي انما هو موقف متعالي نابع من تصور الذات فالأسقاط يعرف ، العملية النفسية التي تخلع بها تصور اتنا ورغباتنا وعواطفنا على الاخرين ، على موضوع من الموضوعات، وهنا ينطبق على الكنيسة والاستشراق والتبشير،(ابو خليل،شوقي،1995، ص15).

أن غالبة الكتابات حول السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي كان طابعها التكبر والتعالي والتحيز وهذا ما يميز كتابات المستشرقين في القرون الوسطى وعصر النهضة ، فكانت في غالبتها مرتكزة على رؤية استعلائية انطلقت من محركات افكار المركزية الأوربية.

المبحث الثاني

اثر الحسد في كتابات المستشرقين محاولة لسلب الأصالة

المطلب الاول: مفهوم الحسد في الخطاب الاستشراقي:

المقصود بالحسد هو تولد الافكار الناجمة عن تمني زوال ما امتلكه الاخر من النعمة والفضل ، بأن تكون الفكرة في اساسها ومنبع انطلاقها هو شعور الحاسد تجاه امامه او من هو المراد من هذه الفكرة، وقد تكون هذه الافكار علمية ومتميزة في ظاهرها ويحمل صاحبها كل ما التزم في السياق العلمي من استدلال وتوضيح وتأليف لكن ما أن يفتش المرء عن امارات دواخله الا يجد حسداً في قلب الحسود دفعه إلى ذلك السياق(الريس،3033،ص49)، والحقيقة الفكرية والفضاء العلمي لا يمكنها أن تخلو من هذا المحرك المؤثر على الافكار والطروحات لأنه في الاساس لا يخلو منه الانسان حال انصياعه لنفسه الامارة بالسوء (الريس،3033،ص49).

ومما لابد أن يعلم أن الحسد مرض معدي بين اجهزة الجسم ينخر في قلب صاحبه حتى يصل إلى عقله وافكاره ربل يصل إلى جوارحه فلا يرى الا بتلك الجوارح الحاسدة ولا يتفوه الا بتلك اللغة الحسودة ولا يزال يأكل ويشرب حتى يكون ابعد عن العلم والفكر واهله ومن شواهد محرك الحسد وتأثيره على الافكار على صعيد التاريخ الاسلامي كتابات المستشرقين وخاصة ما يتعلق بالقرآن الكريم ونظريتهم نظرية الاقتباس والذي قالوا أن القرآن الكريم مقتبس من التوراة والانجيل كما هو الحال لما روجه المستشرق النمساوي لويس شبرنجر في كتابه حياة محمد من المصادر الاصلية فقد طعن في مصدرية القران الكريم.

ومن الشبهات الاخرى التي اورها شبرنجر الاضافات والزيادات التي حسب رايه أن القران لم يسلم من الزيادات (كنعان، 2023،ص99) : ولرد على هذه الشبه أن القرآن محفوظ إلى يوم القيامة كما قال الله تعالى في محكم كتابه قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) [الحجر:9]

أن اهذه الشبهات التي يسيقها المستشرقين على الرغم من الحقيقة الدامغة مصدرها الحسد ناجمة عن هذا المرض فجاءت كتاباتهم محاولة لتبرير هذا الرفض النفسي ومن الشبهات الاخرى في كتابتهم وادعاء الموضوعية والمنهجية الصحيحة ولكن عند الباحث المتفحص يميز منطلقات افكارهم ومرض الحسد الذي اعمى بصيرتهم .،ان المستشرقين بما يمتلكونه من دوافع نفسية تنطلق من الحسد الحضاري ومحاولتهم الرد الفكري والكثير من آيات القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة تفكك هذه الدوافع النفسية فقد دافع الحسد لدى المستشرقين في كتاباتهم هو الرغبة في زعزعة ايمان المسلمين ليست عن عدم معرفة بالحقيقة بل حسداً من عند انفسهم بعدما تبين لهم تميز هذا الدين وعجز مناهجهم عن مهارته ، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه **(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)**[سورة البقرة: 109]،والدلالة الاستشراقية على ان المحرك لجهود والتي تمثلها الشبهات الاستشراقية ومحاولات غرس الشك فكريا هو الحسد النابع من كوامن النفس حتى مع وضوح الحق وتبينه في المصادر الوفيرة للسيرة والقران الكريم فمنهج الشك الذي كان وما زال احد مناهج المستشرقين يبين محرك الحسد النابع من كوامن النفس لدى المستشرقين ومن الامثلة على ذلك .

المطلب الثاني: مظاهر الحسد تجاه الحضارة الاسلامية (انكار الانجازات الحضارية):

رسخت افكار الحسد في الكثير من دراسات المستشرقين ومحاولتهم انكار المنجزات الحضارية في الاسلام ونرى ذلك واضحاً في المدرستين الاستشراقيتين الالمانية والانجليزية في محاولتهم تصوير الاسلام ككيان استعاري ومتخلف فقد حاول المستشرق جوزيف شاخت نفي الاصالة عن الدين الاسلامي وكذلك جولد تسهير وقد استمرت هذه الافكار ونرى ذلك واضحا عتد بعض اغضاء هيئة التدريس بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن والتي تبونها في فترة السبعينات وتجاوزوا في ذلك الحد في الغلو والمبالغة وكان رائدهم جون وانسر الذي اعد كتابين متتالين في سنة 1977– 1978 (الدراسات القرآنية ، مصادر ومناهج التفسير لكتاب المقدس وخلص ان القرآن الكريم تطور تدريجيا في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادين عن اصل روايات شفوية عن طريق تعديلات جرت عليها ثم اعتمدت شكلاً رسمياً وصادف ذلك بروز القران (علي ،محمد مهر ،د.ت، مزاعم المستشرقين حول القران لكريم ،ص8) ، وقد وضع شاخت حجر الاساس له ولكل بحث يريد التشكيك في السنة النبوية المطهرة فأخذ ما قاله سلفه جولد تسهير وتجاوزه بزعمه، انه لا صحه لأي حديث منسوب للنبي (ﷺ) ، وان المجموعة الاولى المعول عليها من الاحاديث النبوية التي تعرف بأحاديث الاحكام قد نشأت في منتصف القرن الثاني الهجري وهو التاريخ الذي يحدد حسب رأيه، حقبة بداية تدوين الحديث (العمري، اكرم ضياء ،د، ت، موقف الاستشراق من السنة النبوية ص 78) ونرى ذلك واضحاً في كتابات المستشرق اليهودي برنارد لويس بقوله: (ان محمد خضع لتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً في القرآن (الجليد،1981، الاستشراق والتبشير،ص32) و يشرح جولد تسهير قائلا : (تبشير النبي العربي ليس الا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرا عميقاً والتي رآها جديدة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة .. فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يبدوا هذه التعاليم وحياً إلهياً) (الجليد،1981، الاستشراق والتبشير،ص32)،ومن خلال هذه النصوص نرى واضحاً ان المستشرقين ترسخت فيهم صفة الحسد تجاه اصالة الدين الاسلامي والقرآن الكريم والحديث النبي (ﷺ) ومحاولتهم نزع اصالة الاسلام وردها الى منابع يهودية او مسيحية ، ونرى ذلك ايضاً في كتاباتهم وخطاباتهم تجاه الازدهار الحضاري والفكري الذي اتسمت به الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي الاول حيث نشطت حركة الترجمة والنقل فحاول المستشرقين نزع اصالة التطور الحضاري الذي نشأ في الدولة العربية الاسلامية وربطه بالتراث

اليوناني ، تقول احد الدراسات ، ان الخليفة العباسي المهدي تعرض الى خصوم محاورين اقوياء ، كان بحاجة ماسة الى دليل بالعربية يمكن ان يعلم فن المحاججه والمجادلة ، فلم يكن اقل من الرجوع الى التراث اليوناني (الجبري ، د.ت، ص157) وهذه دليل لنزع الاصالة والازدهار الحضاري عن الدولة العربية الاسلامية وهناك الكثير من الامثلة التي تؤكد ان منطلقات المستشرقين في تناولهم الجانب الحضاري تجاه الاسلام ودعوة النبي (ﷺ) وعصور الاسلام المزدهرة كان تدفعهم دوافع نفسية ومنها الحسد الذي نزع منهم المناهج الموضوعية على الرغم من ادعائهم الالتزام التام بالموضوعية والحيادية.

المطلب الثالث: التشكيك في انتشار الاسلام:

لقد تعددت الآراء لمستشرقين حول انتشار الاسلام وفقاً لاتجاهاتهم نتيجة دوافعهم النفسية ومنها الحسد ومحاولة سلب الاصالة عن الحضارة الاسلامية فذهبوا الى اتهام الاسلام انه يقوم بالسيف وانه انتشر بالقوة ومن اوضح الدلائل على ذلك ما قاله المستشرق (ماكدونالد) [1] :(ان الاسلام نشر بالسيف فرض كفاية على المسلمين كافة) (زكريا، هاشم زكريا ،1965، المستشرقون والاسلام ، ص171)، وما يقوله (هاري اليس) في كتابه العرب: (ان سنة 732م وافقت ذكرى وفاة النبي (ﷺ) فبلغت دعوته اقصى المغرب وكادت تصل الى اقصى المشرق ولم يكن السيف وحده قوام الدعوة بل كان كثير من ابناء البلدان المفتوحة يقبلون غلى الاسلام لتفضيلهم على عقائدهم اياه اولا ولأن الدعوة في الاسلام ويرفع عنهم الضرائب التي تجبى من غير المسلمين) (زكريا ،2965، ، ص171)، وما يقوله المستشرق الامريكي واشجون ليرافنج ان بقاء الهلال حتى اليوم في اوروبا حيث كان يوماً بالغاً غاية القوة انما يرفع الى اختيار الدول المسيحية الكبرى او بالأحرى تنافسها ولعل الهلال باق ليكون دليلاً على ان من اخذ بالسيف فالسيف يؤخذ) (زكريا ،2965، ص171)، واتجاه اخر يرى العامل الاقتصادي هو الدافع لحركة الفتوحات الاسلامية (الجبري ، د.ت ،ص361) ، يقول (اندريه غييبو) [61] ان الفتح العربي في قيمته كفتح (اتيلا) الهون في القرن الخامس الميلادي لأوروبا ، وكفتوح (جنكيز خان) التتري المتوفى سنة (1227م) ، فأن الهون والتتر لم يتركوا وراءهم في البلاد التي فتوحها الا الدمار للمدينات التي كانت عند غزوهم ، هذا ما قاله (اندرية) ورده المستشرقون لانتقاص من الاسلام الذي اقيمت الحياة السياسية والاجتماعية على مناهجه الامبراطوريات التي شادها الاسلام ، انما هو تجريح للرسول (ﷺ) وتاريخ الاسلام بغير حق اذ ان المشاهدة تكذب ذلك ، لان الفتوح الاسلامية تبعتها نهضة ثقافية وقانونية وعمرانية ليس لها نظير من قبل سواء في العراق او ما وراءه ، او الاندلس وجنوب اوروبا وشرقها ، حتى قال (جوستاف لوبون) في كتابه تمدن العرب "لم ترزق الارض بفاتحين اكثر رحمة بالمقهورين من العرب المسلمين"وقال:(سديو)[2] (لقد نشر المسلمون العلم والمدنية حيث وطئت اقدامهم ، وهذا مما ادى الى ان بعض الشعوب دعت المسلمين لفتح بلادها) (الجبري، د.ت، ص232)، ان بعض المستشرقين حاول التشكيك بانتشار الاسلام وهذا في الحقيقة كان وراءه محركات الافكار التي تمثلت في الحسد الحضاري ومحاولتهم نزعة اصالته الحضارية مما يؤكد ان هناك دوافع داخلية بعيدة عن الموضوعية والمناهج التاريخية الصحيحة تحركهم في تشويه الاسلام والرسول (ﷺ) وكل ما يعلق به ابرزها الحسد التي تجذر في نفوسهم واظهرت تحاملهم وحسدهم وحقدهم على كل ما هو حضاري واصيل ومنها التشكيك في انتشار الاسلام.

المطلب الرابع: الانتقائية في عرض الاحداث:

1() ماكونالد: مستشرق امريكي الاقامة بريطاني المولد والتنشئة اهتم بتاريخ العلوم عند العرب من مؤلفاته اوجه الاسلام والموقف الديني والحياة الدينية في الاسلام ، بدوي ،1993،ص583).

2() سديو: مستشرق فرنسي ولد في باريس سنة 1808م وهو الابن الثاني لجان لوك سديو كان مستشرقاً وفلكياً ومن ابحاثه رسالة إلى مكتب الاطوال وابحاث جديدة في تاريخ العرب ، بدوي،1993:ص 282).

يسعى المستشرقون الى تغليب النزعة المادية لإخضاع القيم الروحية والاختلافات التاريخية التي كانت خلافات اجتهادية او سياسية فهم يمارسون الانتقائية في عرض الاحداث التاريخية ، سواء عبر الاستناد الى المرويات الضعيفة او بتر النصوص او اخضاع القيم الروحية الاسلامية لمقاييس المادية، ويعتمد المستشرقون على الروايات الضعيفة التي اسقطها المسلمون ، وهي روايات اصلها دس اخبار النصارى واليهود على الاسلام بوسائل شتى ، وربما كان هؤلاء المستشرقون يعرفون كتب الحديث والكتب التي تولت بيان الحديث الضعيف او الموضوع او الصحيح ، ولكنهم مع سيق الاصرار على الجناية والخيانة العلمية ينفلون ما ينفلون ومن الامثلة كتاب المستشرق سفاري الذي اعتمد على اضعف الروايات التي رواها الواقدي ، وهكذا يسند المستشرقون الى النبي (ﷺ) احاديث لم يقلها فقد ذكر المستشرق الامريكي (جوستاف فون جرونياوم)[1] ،ان رسول الله (ﷺ) قال: (اختلاف امتي رحمة) وحقيقة هذه الجملة ان الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز قالها في مجال الحديث عن اختلاف بعض الصحابة في اجتهاداتهم (الجبري ،د.ت، 232) ، وهذا من ابرز الدلائل على ان المستشرقين متأثرين بمحرك الحسد في كتاباتهم تجاه السيرة النبوية والتاريخ والاسلام.

المبحث الثالث

اثر الهوى في كتابات المستشرقين غياب الموضوعية والانتقائية

المطلب الاول: مفهوم الهوى:

المراد بالهوى محركا للمرء في اعتناقه لأفكاره أن تكون الفكرة اساسها حاجة في نفس المرء ودواخله ، حيث هذه الفكرة تسبع الحاجة النفسية وبذلك تكون القناعة بالفكرة ليس لذاتها حقاً كانت ام باطلاً اقتربت من الأول او ابتعدت عنه بقدر انها واشبعت حاجة في دواخل قلبه ونفسه هذا المحرك النفسي اصل المحركات النابعة من الانسان فالهوى بوابة المحركات واساس البواعث الشخصية وكل ما يلي من محركات ناتج عن استجابة للهوى وخضوع له فهو المظلة الجامعة لبقية المحركات (الريس،2022، ص15).

يمكن علاقة التأثير والحضور اكثر بين الهوى والحالة العلمية والفكرية على الصعيد العام من ناحية وعلى الصعيد الخاص من ناحية اخرى ونرى ذلك واضحا أن للهوى تأثير في الكثير من كتابات المستشرقين ومن الشواهد على ذلك المستشرق المجري (جولد تسهير) فالمتتبع لمسيرته يجد تأثير كبير في تكوين خلفيته الدينية حيث نشأ في اسرة يهودية ذات مكانة عالية وقدر كبير فقد لعبت به الاهواء فكانت كتاباته منحازة وتسوق الشبهات نتيجة عدم التخلص من اهواء العقيدة التي تربى عليها وكذلك المستشرق (ماكونالد) الذي تربى في اسرة نصرانية أن الهوى لا يستطيع المستشرق الانفكاك منه نتيجة تأثير الاسرة والمجتمع فجاءت غالبية كتاباتهم متحاملة وغير متوازنة ونتيجة البيئة التي تربوا فيها(بدوي،1993،ص538)، ومن المستشرقين الذين دفعتهم جديتهم وموضوعتيهم وهم ليسوا بالقليل الى تفنيد الاخطاء المنهجية التي مارسها رفاقهم في دراسة التاريخ عامة وحياة الرسول(ﷺ)، وتعرية الدوافع التي تكمن وراء موقفهم هذا ، سواء كانت محتشدة في الوعي او منسوبة في اللاشعور .ومن هؤلاء (دينية)، (لقد رأى (دينية) انه من المتعذر ، ان لم يكن من المستحيل ، ان يتجرد المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم المختلفة ، وانهم لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي والصحابة مبلغا يغشي على صورتها الحقيقية من شدة التحريف فيها رغم ما يزعمون من اتباعهم لأساليب النقد البريئة ولقوانين البحث العلمي

1() جوستاف فون جروناوم: مستشرق نمساوي ولد في فينا عام 1909، وتعلم في جامعاتها وكان انتاجه العلمي غزير ومتنوع لكنه يتسم بالنظرات العامة ويدور بعامه حول الحضارة الاسلامية، (بدوي،1993، ص 283).

الجاد فانا نلتمس من خلال كتاباتهم محمداً يتحدث بلهجة المانية ، اذا كان المانياً ، وبلهجة ايطالية اذا كان الكاتب ايطالياً وهكذا تتغير صورة محمد بتغير جنسية الكاتب (الشيباني،محمد شريف ،1988، الرسول صلى الله عليه وسلم في الدراسات الاستشرافية المنصفة ،ص12) ،ومن خلال النص الذي اوردناه فأن الهوى كان ومازال ملازما لمستشرقين او المهتمين بالتراث الاسلامي وحياة الرسول ا ولا يستطيعون الانفكاك عن الهوى والانحياز لمنهج الصحيح امر صعب لان الهوى يتلاعب بهم بحسب بيئتهم وجغرافيتهم فتكون غالبية كتاباتهم مرهونة بالأهواء التي تحكم الكاتب او المستشرق في جوانب العقيدة او السيرة النبوية.

المطلب الثاني: مظاهر الهوى في تناول السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي:

ان لم يكن من المستحيل ، ان يتجرد المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم المختلفة ، وانهم لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي والصحابة مبلغا يغشي على صورتها الحقيقية من شدة التحريف فيها رغم ما يزعمون من اتباعهم لأساليب النقد البريئة ولقوانين البحث العلمي الجاد فانا نلتمس من خلال كتاباتهم محمداً يتحدث بلهجة المانية ، اذا كان المانياً ، وبلهجة ايطالية اذا كان الكاتب ايطالياً وهكذا تتغير صورة محمد بتغير جنسية الكاتب (خليل، عماد الدين ،3005، المستشرقون والسيرة النبوية، ص23) ومن خلال النص الذي اوردناه فأن الهوى كان ومازال ملازما لمستشرقين او المهتمين بالتراث الاسلامي وحياة الرسول ولا يستطيعون الانفكاك عن الهوى والانحياز لمنهج الصحيح امر صعب لان الهوى يتلاعب بهم بحسب بيئتهم وجغرافيتهم فتكون غالبية كتاباتهم مرهونة بالأهواء التي تحكم الكاتب او المستشرق في جوانب العقيدة او السيرة النبوية.

المطلب الثالث

تفسير الوحي تفسيراً حسب الاهواء

ينكر جمهور المستشرقين ان بكون النبي محمد(ﷺ) نبيا مرسلاً من عند الله تعالى تلقى رسالته عن طريق الوحي وبناء على ذلك فقد انكر هؤلاء الهية مصدر الوحي ثم ذهبوا الى تفسيراتهم التي تحكمها الاهواء تفسيراً مادياً واطلقوا تهمهم وتشويهاتهم حول الوحي فمن هؤلاء من يرجع ذلك الى ذات النبي (ﷺ) من خلال نبوته صرع وان الوحي هو تخيلات كانت تملئ ذهن النبي (ﷺ) واطلقوا مصطلحات مثل (الوحي الخلاق) او (الخيال المتدفق) (السباعي ،1964،ص 26) ،ومن ذلك ما اثاره المستشرق النمساوي لويس شيرنجر من شبهات في فضية نزول الوحي واتهام النبي (ﷺ) بسلامة عقله كان يقول لزوجته اسمع صوتاً ، وارى نوراً واخشى ان يكون هناك جن ، في داخلي وفي مناسبات اخرى قال: اخشى انني كاهن قالت خديجة لن يسمح الله بأن يصيبك مثل هذا ابداً (شبرنجر، د.ت ،ص105) ويعتبر المستشرق الفرنسي اميل درمغنم من اكثر المسستشرقين الذين اثاروا الشبهات حول النبي محمد(ﷺ) حفي كتابه (حياة محمد) في كثير من تفسير احداث السيرة النبوية في فترة ما قبل البعثة وعن نزول الوحي على النبي محمد (ﷺ) (العمري ، 2015، ص267) ، ان هذه التفسيرات التي اطلقها المستشرقون كانت نابعة من دوافعهم النفسية النيي تكون بعيدة عن الموضوعية والمنهجية انما تدفعهم اهوائهم المتجذرة في نفسياتهم المريضة والتي انتجت هذه المواقف المتحاملة على النبي (ﷺ) والتاريخ الاسلامي.

الخاتمة وابرز نتائجه:

١. لم يكن نتاج المستشرقبن واحدا فالمستشرق كأي انسان يتأثر بعوامل منها عوامل داخلية واخرى خارجية فالأسرة والبيئة كلها عوامل مؤثرة وكان لعوامل الداخلية كالكبر والحسد والهوى تأثير كبير في كتابات المستشرقين منذ نشأته ولعبت دورا كبيرا في نتاجهم العلمي وخرج خطابهم عن التاريخ الاسلامي والسيرة النبوية متحاملا وغير منصف على الرغم من ادعائهم التزامهم بالموضوعية واستخدام المناهج العلمية المحكمة وتبين من خلال البحث أن الجانب النفسي يعد من اهم العوامل التي تؤثر في نفسية الكاتب

او المستشرق ولا يمكن استبعدها في دراسات النتاج الفكري سواء كان ما يخص المؤرخين المسلمين او المستشرقين المتخصصين في دراسات العالم الاسلامي لأن علم التاريخ ودراسته له ارتباط مع العلوم النفسية والاجتماعية وخاصة ما يتعلق بالجانب النقدي للنصوص التي حملت بين اسطرها تشوهات مقصودة لأنها كانت نابعة من هذه المحركات والدوافع النفسية

٢. ان النقد الفكري للمناهج الاستشراقية والمعرفية لا يمكن ان يحقق اهدافه ما لم يقترن بالتحليل النفس ـ معرفي لتفكيك البواعث الباطنة التي تكمن وراء هذه الآراء .

٣. ان ظاهرة الاستشراق في تعاطيها مع السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي لم تكن نتاج بحث علمي مجرد بل كانت ورائه بواعث معرفية مدفوعة بالحسد والكبر .

٤. ان تشويه صورة السيرة النبوية وحياة الرسول محمد (ص) ونفي منشأ النبوة والتاريخ الاسلامي نتج عنه تشوهات منهجية وعلمية بالغة كالانتقائية وتضخيم الروايات الشاذة المتروكة .

٥. ان المدارس الاستشراقية الحديثة او الكلاسيكية تمثل الوريث البنيوي المدفوع بكبر الغلبة المادية لمحاولة تجريد الامة من يقينها التاريخي وسيرتها الفذة .

المصادر والمراجع:

القران الكريم:

- ابو خليل ، شوقي، (1995)،الاسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين ، نشر دار الفكر المعاصر.
- الجبري ، عبد المتعال محمد ،(1995)، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، نشر مكتبة وهبة.
- الجبري، (د. ت)السيرة النبوية واوهام المستشرقين ، نشر مكتبة وهبة .
- الجليد ، احمد انور سيد احمد (1981-) السنة في مواجهة المستشرقين ، نشر المكتبة العصرية .
- الجليد ، محمد السيد ، (د.ت)الاستشراق والتبشير ، نشر دار قباء لطباعة والنشر والتوزيع .
- الحساني ، ساجدة عبد كاظم ،(2022) اتجاهات الكتابة التاريخية وخصائصها في دراسة الفتوحات الاسلامية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة الكوفة ، العراق .
- الريس ، عبد الرحمن بن ناصر (2022)، محركات الأفكار تنقيب في الجذور ورصد للمنابع ،نشر تكوين لدراسات والبحوث .
- السابح ، احمد عبد الرحيم ،(1996)،الاستشراق في ميزان الفكر الاسلامي ، نشر الدار المصرية اللبنانية .
- السباعي ، مصطفى،(د.ت) الاستشراق مالهم وما عليهم ،نشر دار الوراق ، محمد ، اسماعيل علي الاستشراق بين الحقيقة والوهم والتظليل مدخل لدراسة الاستشراق ، نشر دار الكلمة .
- السرحاني ، (د. ت)الاثر الاستشراقي في موقف محمد اركون من القرآن الكريم ، نقله إلكترونيا موقع صيد الفوائد متاح في المكتبة الشاملة.
- الشرقاوي ، محمد عبدالله (د.ت)، الاستشراق دراسات تحليلية تقوميه.
- الشيباني ، محمد شريف ،(1988)، الرسول صلى الله عليه وسلم في الدراسات الاستشرافية المنصفة ، دار الحضارة .
- الصغير ، فالح بن محمد بن فالح (د. .ت)،الاستشراق وموقفة من السنة النبوية ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- العمري، رياض بن حمد بن عبدالله،(2015) مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي (ﷺ) عرض ونقد في ضوء العقيدة الاسلامية ،نشر مركز التأصيل .
- المدني، ابو مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملا محمد عظيم القارئ، (1974)المستشرقون في الميزان ، نشر الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

- المطيري ،انصاف بنت سعد بن مثيب، (2024)،دور الاسرة والمجتمع الغربي في تكوين خلفيات المستشرقين العقدية ،المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية ،مج (8)،ع،(28) ،الملكة العربية السعودية .
- خليل ، عماد الدين ، (2005)،المستشرقون والسيرة النبوية ، دار ابن كثير.
- زكريا ، هاشم زكريا، (1965)المستشرقون والاسلام ، نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .
- شبرنجر ـ لويس ، (د.ت)حياة محمد من المصادر الاصلية.
- عباس ،فضل حسن ، (2016) التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته في العصر الحديث ، نشر دار النفائس.
- عزراوي ، حسن،(2007) آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية ،نشر مطبعة آنفو ـ برانت .
- علي، محمد مهر ، (د. ت)مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- فوزي ،فاروق عمر ،(1998) الاستشراق والتاريخ الاسلامي (القرون الاسلامية الاولى) ، نشر الاهلية لنشر والتوزيع .
- كركور، محمد محمد ابراهيم ،0(2019) مفهوم الاستشراق وعلاقته بأجنحة المكر الثلاثة ، حولية كلية الدعوة الاسلامية ، العدد الحادي والثلاثون ، المجلد الأول،القاهرة.
- كنعان ، غانم اسماعيل ،(2023) المستشرق لويس شبرنجر وكتابه حياة محمد من المصادر الاصلية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ،جامعة ديالى ، العراق.
- لطبقة ، ميم نسرين ،(2011) جهود المستشرقين في نشر التراث العربي ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب واللغات جامعة جيلاني بلعباس ، الجزائر .
- محمد ، اسماعيل علي(د.ت) الاستشراق بين الحقيقة والوهم والتظليل مدخل لدراسة الاستشراق ، نشر دار الكلمة.
- وزان ، عدنان محمد ،(د.ت) الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، نشر مطبعة رابطة العالم الاسلامي ،(المدينة المنورة .